الطب والأطباء في مصر القديمة

د. أحمد شبابيبي[1]

الملخص

يتناول هذا البحث مهنة الطب والمدارس الطبية في مصر القديمة والتي كانت ولا زالت ، تعدُ واحدةً من أكثر المهن الإنسانية أهميةً وحيويةً في المجتمعات قديماً وحديثاً ، وذلك لارتباطها الوثيق بحياة الملايين من الناس. بدايةً سيتسنَّى لنا التعرفَ على أهم المصادر الأساسية للطب في مصر القديمة ، وأيضاً معرفة المؤسسات التعليمية الطبية التي أسهمت في تأسيس وتطوير هذه المهنة على مرِّ العصور التاريخية لمصر القديمة. بالإضافة إلى المكانة والمنزلة الاجتماعية المرموقة التي حظي بها الأطباء ضمن مجتمعهم ، ونظرة الناس إليهم آنذاك. كذلك الإشارة إلى أصناف الأطباء ، وتخصصاتهم ، وأساليبهم المختلفة في علاج ومداواة المرضى ، وذلك من خلال ما أوردتهُ المصادر والوثائق المكتشفة ذات الصلة بالموضوع. وأيضاً معرفة درجات الأطباء والأجور التي كانوا يتلقوها لقاء أتعابهم في سبيل علاج وشفاء مرضاهم ، وأخيراً السُمعة والشهرة التي اكتسبوها داخل مصر القديمة وخارجها.

الكلمات المفتاحية: المدارس الطبية ، البرديات الطبية ، الطبيب / Swnw ، أمحوتب.

[1] **دكتور وباحث في تاريخ الشرق القديم، دمشق، سورية.**

أهمية البحث:

يدل التراث الذي خلفه المصريون القدماء سواء في برديا‌تهم الطبية أو نقوشهم الحجرية على الدور البارز الذي أدَّتهُ مدارس الطب المصرية وأطباءها في مصر القديمة ، حتى ازدهرت الحضارة الطبية العظيمة منذ آلاف السنين. وقد اعتبرت طبقة الأطباء من أكثر طبقات المجتمع تعلُماً ، لأنهم كانوا مزودين بثقافة واسعة ولديهم معرفة بالكتابة والتقاليد القديمة ، كما يتضح من دراسة المصادر الأساسية والنصوص ذات العلاقة ، حيث تتأتَّى أهمية هذا البحث كونهُ يلقي الضوء على أهم المهن التي نشأت و مورست آنذاك في مصر القديمة ألا وهي مهنة تدريس الطب ومزاولته. ومن هنا تنبع أهمية موضوع بحثنا هذا فهو يعتبر من الدراسات المُهمة فيما يتعلق بحضارة مصر القديمة ، كونهُ من المواضيع التي شغلت فكر الإنسان قديماً وحديثاً ، كما يُقدم لنا تصوراً عن الدور الكبير لسكان مصر الُقدماء في تقدم العلوم والمعارف العلمية في ذلك الوقت.

إشكالية البحث:

يضعُنا هذا البحث أمام مجموعةٍ من التساؤلات التي لا بد من الإجابة عليها لتوضيح طبيعة كيفية تعلم هذه المهنة ومزاولتها آنذاك. بدايةً كيف نظر سُكان مصر القديمة للمرض وأسبابه ؟ وهل كانت هناك مدارس متخصصة لتعليم هذه المهنة. ؟ يضاف إلى ذلك ما مدى السمعة والشهرة التي حظي بها الطبيب المصري ، سواء أكان داخل أم خارج مصر.؟ وما إذا كانت هذه المهنة يتم توارثها كبقية المهن الأخرى التي كانت سائدةً في ذلك الوقت؟ كذلك التعرف أيضاً على أصناف الأطباء واختصاصاتهم ، ودرجاتهم ، ومكانتهم الاجتماعية ، و أساليبهم في تشخيص الأمراض ، والطرق العلاجية المختلفة التي كانت تُمارس على المرضى حينها من خلال النصوص الطبية المكتشفة. وأخيراً كم كان يتقاضى الطبيب لقاء أتعابه أثناء علاجه للمريض؟ ، وفي حال فشله وتقصيره في معالجة مريضه هل يتم مُقاضاته و ما هي العقوبة التي كانت تتخذ بحقهِ آنذاك؟.

وانطلاقاً من هذه الأسئلة المطروحة والتي تكوِّن إشكالية البحث سيحاول الباحث الإجابة عليها من خلال ما سيقدم في المتن.

الدراسة المرجعية:

اعتمد البحث على مجموعة من المراجع العربية المختصة بالتاريخ القديم مثل الطب المصري القديم للأستاذ الدكتور حسن كمال، والطب عند الفراعنة للدكتور الإيطالي كريستيانو دَاليو ، وكتاب الجمال والتجميل في مصر القديمة للأستاذيَّن محمد فياض ، وسمير أديب ، وأيضاً تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني للأستاذ الدكتور سمير يحيى جمال ، كذلك كتاب الطب عند قدماء المصريين للدكتور بول غليونجي، بالإضافة إلى بعض المقالات المنشورة لعدد من الأساتذة في الجامعات العربية. وبالنسبة للمراجع الأجنبية فقد اعتمد البحث على بعضٍ منها فيما يتعلق بتاريخ مصر عموماً، والعلوم الإنسانية والطبيعية لحضارة مصر القديمة خصوصاً.

منهجية البحث:

لقد اتبع البحث المنهج التاريخي للوصول إلى النتائج المرجوة من البحث ، بالإضافة إلى ذكر المصادر الأساسية ، و الوثائق المكتشفة و المُترجمة ذات الصلة ، والتي عملت على إغناء البحث بالمعلومات المفيدة والقِيمة لتقديم صورةٍ واضحةٍ عن إحدى أهم المهن وأنبلها في حياة المجتمع المصري القديم آنذاك.

المقدمة:

إنَّ إبداعات الحضارة المصرية في كافة مجالات الحياة كانت تتطلب دون شك أجساداً سليمة معافاة ، إلى جانب عقول متقدة تستطيع أن تنهض بعبء هذه الابداعات. فالمجتمع الذي يتسم بسلامة أفراده عقليَّاً وجسديَّاً لا بد وأنه يتسم بإنجازات على نفس المستوى من سلامة المجتمع. والمجتمعات المتحضرة تقاس بمعايير كثيرة ، من بينها السلامة البدنية ، الأمر الذي يتطلب طبَّاً متقدماً ، فالطب يولد لتأمين حياة الإنسان من أخطار الأمراض ، ومن ثم فقد أصبح يمثل قطاعاً مهماً في حياة البشر. وتزخر حضارة مصر القديمة وعبر تاريخها الطويل بإنجازاتٍ وإبداعاتٍ علمية عظيمة ، حققها المصريون القدماء في العديد من مجالات المعرفة الإنسانية بشكلٍ عامٍ وفي ميدان الطب على وجه الخصوص ، والذي يمثل أحد الجوانب الرئيسية في مجال المعرفة العملية ، حيث نالت مهنة الطب والقائمين عليها ، عناية سُكان مصر القديمة واهتمامهم ، منهجاً وأسلوباً وعلى مرِّ العصور التاريخية. فقد دفعت الغريزة الإنسانية للدفاع عن النفس ورفع الأذى عن الأقربين بالإنسان ومنذ القدم إلى تجربة ما تجود به الطبيعة من نبات وحيوان وأحجار أو معادن ، بالإضافة إلى ممارسة الطقوس الدينية والسحر. أضف إلى ذلك كله رصده لحركات وأفعال بعض الحيوانات في معالجة نفسها. وبتكرار التجارب وباكتشاف علاقة نبات ما أو مادة معدنية أو حيوانية بشفاء مرض ، وبتعميم تلك الخبرات وتبادلها ، وصل إلى نتائج أفضل في المعالجة والشفاء. وبظهور التدوين وانتشاره زادت معارف الإنسان المتعددة ومن بينها معارفه بالطب الذي وصل إلى مرحلةٍ راقيةٍ في مصر القديمة شأنه شأن بقية العلوم الأخرى التي ازدهرت في هذه الفترة والفترات اللاحقة . كما يُعد المصريون من أقدم الشعوب التي عرفت ومارست مهنة الطب ، هذه المهنة النبيلة التي وصلت إلى مستوى رفيع من التقدم العلمي ، وحاول أطباؤها فصل السحر والدين عن الطب ، فبرعوا في تشخيص الأمراض ، وفي التشريح ، وما احتوته البرديات الطبية إلا دليلاً ملموساً حول ما حققهُ الطبيب المصري في مجال الجراحة ، ما زال إلى غاية الآن كليات الطب العالمية تلقنهُ لطلابها.

أولاً: نظرة سكان مصر القديمة للمرض:

اعتقد المصريون القدماء أنَّ الأمراض التي تصيبُ الإنسان تعود إلى سببيَّن هما:

1-أسباب ظاهرية:

ويقصد بها الأمراض التي يُعرف سبباً ظاهراً لها مثل الكسور والجروح ، وكذلك الإفراط في الطعام والذي يؤدي إلى تعفن الأمعاء ، وهذه الأمراض التي يُعرف سببها غالباً ما تُعالج بالعقاقير الطبية[1].

[1] عبد العزيز علي حسيب ، آيات ، " الأمراض والأوبئة من خلال بردية تقويم القاهرة بالمتحف المصري الكبير (رقم 86637" مركز الدراسات البردية والنقوش ، ، مج (36 ، ج1 ، جامعة عين شمس 2019م ، ص 79 ، 80.

2-أسباب خفية:

وهي تتمثل في الأمراض التي لا يُعرف سبباً لها ويصعُب علاجها ، فقد اعتقدوا أنها ترجع إلى غضب الآلهة على الإنسان بسبب ذنبٍ ارتكبه. أو بسبب أحد عفاريت الأمراض، وهذه الأمراض كانت تُعالج غالباً عن طريق التعاويذ السحرية لدرء هذه الأمراض والأوبئة حتى يُتجنب وصولها له[1]. فكان ظهور وباء معين يُفسر على أنهُ نوع من العقوبة الإلهية للبشر[2]. فهذه الأمراض لها علاقة بغضب الآلهة على البشر طبقاً للمعتقدات الدينية عند المصري القديم. ومما تجدرُ الإشارة إليه أنه خلال عصور ما قبل الأسرات في مصر القديمة كان الطب والروحانيات والسِّحر متلازمين ومتشابكين بدرجةٍ كبيرةٍ للغاية ، وكانوا يعتقدون في إمكانية شفاء الأمراض بواسطة هذه القوى الخفية. كما أنها كانت تُلهم الأطباء والصيادلة في أثناء ممارستهم لمهنتهم بالعديد من الوصفات والتشخيص السليم للأمراض. وكانت هذه القوى الخفية مرهوبة الجانب من جميع المصريين القدماء بلا استثناء وكانوا يعتقدون بأن كل دواء يحتوي على جزء من روح الإله الشافي ، وأنَّ الآلهة كانت أول من ابتدع طرق العلاج واستخدام العقاقير[3]. وهذا ما يُشكل اعتقاداً قوياً عند بعض المؤرخين بأنَّ هذه الآلهة الشافية كانت يوماً ما أشخاصاً أثناء حياتهم على الأرض ووهبوا ملكةَ الشفاء من الأمراض ، مما حدا بأتباعهم أن يرفعوهم إلى مرتبة الآلهة عند موتهم حفاظاً على مكاسبهم من الزوال بعد موت هؤلاء الأطباء الموهوبين.

كذلك لم تكن هناك حدوداً واضحةً بين الطب والسحر والدين في مصر القديمة ، حيث كان الأطباء الأوائل كهنة ، ومثلُّوا دور الوسيط بين الآلهة والمرضى ، فكان عليهم حماية الآلهة والملك المصري من الأرواح الشريرة ، وبمرور الوقت ، كان الكهنة قادرين على اكتساب المعرفة العلمية وبالتالي ممارسة الطب " التجريبي" و الطب " اللاهوتي الديني".[4]

وكان هؤلاء الأطباء والصيادلة المحترفون بالغي المهارة في إحاطة أنفسهم بكل مظاهر التقديس والغموض والخوف ابتغاء للوصول إلى أعلى مراتب التقديس والاحترام البالِغَيْن من عامة الشعب وبهذا تحقق للمعرفة الطبية المصرية تلك المكانة العالية في نفوس المصريين قاطبةً والتي لم تتأثر عبر آلاف السنين وحتى اليوم.[5]

وبالاستناد إلى ما تم ذكره آنفاً يمكننا القول بأنَّ المعنيين بالعلاج في مصر القديمة كانوا على الشكل الآتي:

أ-"الكاهن": وكان يلعب دور الوسيط بين المريض والإله مُتوسِّلاً لهُ ، لكي يمنح المريض الشِّفاء من أمراضهِ ، كما كانت لديه معلوماتٍ متوسطةٍ في مهنة الطب والتطبيب.

---

(1) عبد الفتاح عزام ، ليلى ممدوح: " التعاويذ السحرية ضد الأمراض في عصر الدولة الحديثة" ، رساله دكتوراه ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، جامعة حلوان ، 2001 م ، ص 34.

(2) Goedicke ، H . ، " The Canaanite illness" ، SAK 11 ، Geburtstag ، 1984 ، p.92.

(3) Bonnet ، H . ، " Reallexikon der Agyptiscen Religonsgeschichte ، (Berlin: Johns Hopkins Press ، 1952 ، p.146.

(4) بومريش ، ليلى ، " الطب في مصر القديمة ، بردية إدوين سميث أنموذجاً" ، مجلة دراسات تاريخية ، كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، مج (21 ، العدد: (16 ، جامعة الجزائر 2 ، 2013م ، ص 8.

(5) الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلية في العصر الفرعوني " ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994م ، ص224 ، 225.

ب-"**الساحر**": وكان يعمل في مجال طرد الشياطين من جسم المريض ، أو فكُ أعمال الأرواح الشريرة.

ج-"**الطبيب / سونو**": وكان يعالج المرضى بواسطة العقاقير ، وأحياناً يتلو عليهم بعض السِّحر أو مقتضيات الطب الكهنوتي حسب أساليبه العلمية المجربة.[1]

ثانياً: المصادر الأساسية للطب في مصر القديمة:

يعود تاريخ الطب المصري القديم إلى أكثر من أربعة آلاف سنة ، وقد كشفت لنا المصادر الأساسية للطب وخاصةً البرديات الطبية التي كُتبت من طرف الكهنة ، بالإضافة إلى النقوش والمناظر المسجلة على جدران بعض الآثار كالمعابد والمقابر، مثل منظر ختان الذكور في مقبرة " عنخ ما حور" في " سقارة" ، والمقابر التي تخص الأطباء ، والتي ورد فيها ذكر لوظائفهم ودورهم في هذا المجال. كذلك هناك الدراسات المتعلقة بالمومياوات ، والتي كان من بين النتائج الهامة للكشف عنها بكل مستويات أصحابها الاجتماعية والاقتصادية التعرُّفُ على بعض الأمراض ، وفحص كل أعضاء الجسد ، مِمَّا أدى إلى توفر الكثير من المعلومات عن التشريح ، والجراحات ، والعلاج ، إلخ. وإلى جانب ذلك ، فقد عُثر على أطلال بعض المصحَّات ، حيثُ أُشير إلى دورها في النصوص المصرية و التي وردت على بعض معابد العصور المتأخرة[2]. وأخيراً هناك عشرات الأدوات الطبية ، التي عثر عليها ، والتي يحتفظ بها في المتاحف المختلفة ، بالإضافة إلى ما سجل منها على جدران الآثار المصرية. وهنا نجد بأنَّ جميع تلك المصادر الأساسية للطب السالفة الذكر قد أفادتنا في الحصول إلى مزيدٍ من التوضيحات والمعلومات القيمة حول ما وصل إليه الطب المصري القديم من تطور. وذلك من خلال ما اكتسبهُ الأطباء من مستوى مهني جيد ، في إعدادهم لمجموعة الوصفات الطبية التي أوصوا بها في علاج بعض الحالات المرضية مثلما هو موضح في برادياتهم.

ولعلَّ أهم تلك المصادر الطبية هي " البرديات أو القراطيس الطبية المصرية القديمة " حيثُ اكتشفت العديد من لفائف البرديات الطبية في مصر في القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد احتفظت المتاحف العالمية في كل من باريس ، وليدن ، ولندن ، وبرلين ، وتورينو ببعض البرديات الطبية التي ألقت الضوء على دراسة الطب عند المصريين ، وعلى الحضارة العظيمة للمصريين القدماء. كما أنها أثبتت خطأ الاعتقاد العالمي بأن حضارة الإغريق القدماء كانت أول ما ظهر على وجه الأرض ، وبالتالي أكدت أنَّ مصر القديمة هي المهد الحقيقي وأصل الحضارة التي انتشرت في كل أرجاء الأرض[3]. وقد أخذت هذه البرديات اسمها من أسماء الذين حصلوا عليها ، أو أسماء الأماكن التي توجد فيها الآن ، ومن ثم فقد أُطلق عليها أسماء مثل (كاهون ، إدوين سميث ، إيبرس ، هرست ، وبرلين ، وشستر بيتي ، وكارلزبرج). بالإضافة إلى مخطوطات أخرى في مجموعاتٍ فرديةٍ ، وهي لفائف ثانوية ، ثم هناك من هذه الأوراق تلك الثروة التي لاتزال دفينةً في أرض مصر الطيبة.[4] كما كانت البرديات الطبية كثيرة العدد وتناقش جميع فروع الطب والجراحة وحتى

---

(1) غليونجي ، بول : " طب وسحر " ، منشورات دار القلم ، القاهرة ، 1999م ، ص30.

(2) نور الدين ، عبد الحليم: " آثار وحضارة مصر القديمة " ، ج2 ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 2008 م ، ص327.

(3) الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلية في العصر الفرعوني " ج1 ، ص199.

(4) فياض ، محمد ، و أديب ، سمير : " الجمال والتجميل في مصر القديمة " ، منشورات نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000م ، ص133.

الطب البيطري. ومن أهم تلك البرديات الطبية وما تضمنته من معلومات طبيةٍ قيمةٍ عن الأمراض وطرق علاجها على هي بردية:

" إيبرس" (Ebers Medical Papyrus) ، فهي تحتوي على طرق علاج الأمراض التي تسبب الإصابة بالديدان وعن البول الدموي والبهاق والجذام والأمراض التي تصيب العيون (والتي كانت معروفةً دوماً في مصر القديمة منذ عصور بعيدة)[1]. وكذلك الجروح والأورام والتهابات الأنف والأذن وأمراض النساء. وغيرها بالإضافة إلى ذكر الأدوية التي تقتل الحشرات والعقارب والسحالي وغيرها.[2]

ثالثاً: المدارس التعليمية الطبية في مصر القديمة:

1-نشأة مدارس الطب:

يُشير " هيرودوت" عن المدارس الطبية بقوله: " **إن المدارس الطبية في مصر القديمة كانت في منتهى الشهرة والسمعة الطيبة ، كما أن رجال الطب الذين تخصصوا في مختلف فروعه كان لهم صيت ذائع واسع ، وأن الملوك والأمراء وعظماء الرجال في الممالك المجاورة كانوا يستدعونهم لعلاجهم**".[3]

و قد كانت كافة العلوم والتقاليد الطبية والصيدلية في العصور المصرية القديمة مركزها في مدينة " آنو " والتي تدعى عند الإغريق " هليوبوليس" (وهي تقع حالياً في منطقة المَطرية من ضواحي مدينة القاهرة) ، وفي داخل معبدها الكبير الذي كان يحوي أكبر وأهم وأقدم جامعة تعليمية في مصر والشرق والعالم كله. حيث يعتقد أنها بُنيت قبل عام (5000ق.م) بقرون طويلة. كما تعتبر مدينة " آنو / هليوبوليس " مُقدسةً ومُخصَّصةً لعبادة الإله الواحد (رع). وكان هذا المعبد يعد أقدم وأشهر المعابد المصرية والمعروف لجميع البلدان المُحيطة بمصر والبحر المتوسط ، وذلك للمستوى العالي المُمتاز في الدراسة والتثقيف لجميع العلوم التي يتلَّقاها الطلاب فيه. وكان كل الطلبة في مصر القديمة والخارج يبذلونَ جُهدهم للالتحاق بهذا المعبد والذي يعتقد أنه أنشئ قبل سنة 4000ق.م بقرون طويلة. كما تعدُ مدرستهُ الشهيرة للعشَّابين مشهورةً حينها بالمستوى التعليمي لطلابها الخريجين ، بحيث يكفي الخريج أن يقول أنهُ قد تعلَّم في جامعة معبد " آنو / هليوبوليس " لكي ينال احترام الجميع.[4]

وكان الطبيب يتعلم أولاً في مدارس الكتبة ، فإذا ما تخرج منها وأراد تعلم مهنة الطب احتاج إلى تعليم خاص. ولا بد أنه كانت هناك في وقت ما طريقةً للتلمذة أو التمرين يقوم بها طلاب الطب على أيدي أطباء مهرة يتعلمونَ منهم عملياً ونظرياً تعاليم مهنة الطب تماماً كما يتعلم الصبية من أصحاب الحرف حالياً.[5] فالنجار يخرج نجارين يساعدونه فيما مضى ، والأطباء يُخرجونَ أطباء كانوا يلتحقونَ معهم ليتعلمو أصول الطب وطريقة مزاولته.[6] وأمَّا المدرسة الطبية

---

(1) Wreszinski ، W . ، " Der Ebers Papyrus ، (Leipzig: 1913 ، p. 101.

(2) Bryan ، P. & Smith ، E. ، " Ancint Egyptian Medicine ، The Papyrus Ebers ، (London: Ares Publishers ، 193, P.94 ، 95.

(3) موسى محمد شرف ، مصطفى : " الطب بين الإيرانيين القدماء وقدماء المصريين ، مجلة بحوث كلية الآداب ، مج (32 ، العدد (124 ، جامعة المنوفية ، القاهرة 2021م ، ص56.

(4) جبرة ، صابر : " تاريخ العقاقير والعلاج " ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، الاسكندرية ، 2017م ، ص 25 ، 26.

(5) حسن ، سليم ، "موسوعة مصر القديمة ج2" ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة 2012م ، ص282.

(6) كمال ، حسن : " الطب المصري القديم " ، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط3 ، القاهرة ، 1998م ، ص 45.

المُلحقة بمعبد مدينة " آنو / هليوبوليس " فكانت تدرس خلال السنتين الأوليَّن معلوماتٍ طبيةٍ عامةٍ في حين أنها خلال السنوات اللاحقة كان الطلبة يُلحقون في مختلف الأقسام التخصصية الطبية مثل الطب الباطني أو طب العيون أو أمراض الجلد أو الجراحة أو طب الأسنان وغيرها.[1]

ومن المعابد الشهيرة أيضاً والتي تعلَّم فيها أشهر الفلاسفة الإغريق والرومان معبد " ممفيس" في مدينة (منف / جنوب القاهرة وحالياً البدرشين وسقارة على الضفة الغربية لنهر النيل) ، والتي أصبحت عاصمة مصر الموحدة في سنة 3200ق.م. والتي بناها الملك (مينا) موحد القطرين. وهذا المعبد كان قد أنشأ في عهد الدولة القديمة حوالي سنة (2800ق.م). وكان المعبد يحوي مدرسة شهيرة للصيدلة وأخرى للطب (والأخيرة كان من طلبتها الطبيب الشهير "أمحوتب"[2] والذي أصبح بعد ذلك أحد أساتذتها ثم رئيس المعبد كله والرئيس الأعلى للكهنة في مصر ، و بعد وفاته أي الطبيب " أمحوتب" تم دفنهُ داخل المعبد وبعد ألفين من السنين أُلِّهَ "أمحوتب " ورفع إلى مرتبة الآلهة المُعالجين للمرضى). وكان يحتوي هذا المعبد على مكتبة ضخمة بها كل المراجع والكتب المهمة في كل العلوم. وكذلك كان يوجد في المعبد الكبير معبدٌ صغير آخر لعلاج الأمراض النفسية معتمداً على العلاج بالموسيقى وبعض الأعشاب الطبية المهدئة.[3]

و بالإضافة إلى هذا المعبد هناك معبدٌ ثالث مهم هو معبد مدينة " سايس / صا الحجر حالياً" ، وهي على بعد (60 كم) جنوب مدينة الإسكندرية الحالية . حيث اشتُهرَ هذا المعبد بمستواه العلمي الرفيع وخاصةً مدرستيَّ الطب والصيدلة. وقد ورد ذكر هذا المعبد في بردية " إيبرس" حيث ذكرت أن كاتبها وناسخها قد تخرج من معبديَّ " هليوبوليس وسايس" (كدليل قوي على مهارته الفائقة في الطب) ، كما كان مُلحقاً بالمعبد مدرسة شهيرة للتوليد والعناية بالحوامل والمواليد. وبعد ذلك قام كهنة المعابد بالتدريج بإنشاء مدارس لتعليم مهنة الطب والصيدلية ، ومستشفياتٍ خاصةٍ لعلاج المرضى وصرف الأدوية اللازمة لهم. وهذه المدارس كانت تتركز خاصةً في المعابد الرئيسية الكبيرة في عواصم أقاليم مصر كلها ، وقام بالتدريس في هذه المدارس كهنة مُتخصصون وذوو خبرةٍ طبيةٍ سابقة. وبالتدريج قام هؤلاء العلماء بتدريس كل العلوم المعروفة في ذلك الوقت وأصبحت هذه المعابد بمثابة جامعات وأكاديمياتٍ كما في عصرنا الحديث.[4] وقد عرفت تلك الأماكن المُخصصة لتعليم مهنة الطب باسم:

" بر–عنخ / per–ankh". أي " بيوت الحياة ".

---

(1) الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلية في العصر الفرعوني " ج1 ، ص 158.

(2) " أمحوتب بن كا– نوفر" : وهو طبيب ووزير وفلكي ومهندس معماري وحكيم ورئيس الكهنة ، ولد حوالي (عام 2980 ق.م في مدينة منف وخدم في بلاط الملك " زوسر" في الأسرة الثالثة.

(3) الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني " ، ج1 ، ص 159.

(4) الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني " ، ج1 ، ص 155.

1-تعريف مصطلح " بر-عنخ / per-ankh":

ويعني حرفيًّاً " بيوت الحياة" ، وهو المكان الذي كان يُعتبر حينها بمثابة مؤسسة تعليمية بحثية تتعامل مع جوانب علمية متعددة ، ومن بينها مهنة الطب ، كما كانت بمثابة مكتبة تضم أهم المعارف آنذاك.[1]

وقد وجدت مدارس الطب في المعابد الكبرى والمدن الكبرى كما أسلفنا ، بالإضافة إلى " تل بسطة" /الزقازيق " ، و " صا الحجر" / الغربية" ، و" أبيدوس/ سوهاج" ، " وعين شمس/ القاهرة". وكانت تدرس في تلك المدارس والمعاهد أي " بر-عنخ / pr-ankh" العلوم الطبية والصيدلية بخلاف الدراسات الأخرى المهنية ، والتي أنشأت طوال العصور التاريخية وعبر الأسرات المختلفة في مصر القديمة[2]. وهذه كانت مخصصة لتعليم أبناء النبلاء وكبار موظفي الحكومة وكذلك أبناء الأطباء والصيادلة الذين يعملون في خدمة القصر الملكي ، وهذه المعاهد كانت منتشرة في مختلف العواصم الكبيرة للأقاليم[3]. ولدينا أحد الأمثلة الذي يوضح الاهتمام الكبير من قبل الملوك بتنظيم والإشراف على تلك المؤسسات التعليمية ، حيث يقول كبير الأطباء ، المدعو " وچا حور سنب/"WDA -@r – snb " من " سايس" (صا الحجر) ما يلي:" **أمرني جلالة الملك أن أُعنى بمدرسة الطب بكل فروعها ، وإننا يجب أن نختار أحسن الطلاب لدراسة هذا العلم ، وأن نمدهم بكافة احتياجاتهم**".[4]

2-أقسام بيوت الحياة " بر-عنخ / per-ankh":

كان كل واحد من بيوت الحياة أي " بر-عنخ / per-ankh " يحتوي على قسم خاص يُسمى ببيت الأدوية أو معهد الصيدلة وكان مُخصصاً لتعليم العلوم الصيدلية. وكان من الضروري فيها دراسة الأعشاب الطبية والكيماويات والمعادن ومختلف أجزاء الحيوانات التي تدخل ضمن التركيبات والوصفات الطبية[5]. وكانت ملحقة بها كذلك حديقة نباتية كبيرة حيث تزرع فيها كل النباتات الطبية المعروفة وبها مخازن مخصصة لتخزين النباتات المقتلعة لحين استخدامها وكذلك أنشئت بهذه البيوت الكثير من المعامل التي كانت تستخدم في تحضير كافة المستحضرات الصيدلية المعروفة في ذلك الوقت. وعادةً ما كانت بيوت الحياة هذه متواجدة داخل المعابد الكبرى ، ولكن في بعض الأحيان كانت تنشأ خارجها وكانت تحتوي على صالات كبيرة للدراسة وغرف للتأمل ومكتبة كبيرة بها كافة الكتب والمراجع العلمية المختلفة وكذلك بها تمثال كبير للإله تحوت إله العلوم والمعرفة ومن الأقسام المهمة في بيوت الحياة كانت غرف للعمليات الجراحية وعيادات خاصة بطب الأسنان. كما كانت بيوت الحياة مكونةً أيضاً من عدة مدارس لتعليم مختلف العلوم مثل الطب والصيدلية والكيمياء والهندسة.... وغيرها ومدرسة خاصة لتعليم الدراسات الدينية واللاهوتية. وعندما أصبحت مدينة "

---

(1) غليونجي ، بول: " الطب عند قدماء المصريين " ، تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني ، مج : (1 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1962م ، ص 527.

(2) نور الدين ، عبد الحليم ، " آثار وحضارة مصر القديمة " ، ج2 ، ص324.

(3) الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني " ، ج1 ، ص 160.

(4) نور الدين ، عبد الحليم ، " آثار وحضارة مصر القديمة " ، ج2 ، ص324.

(5) فالبيل ، دومينيك ، الناس والحياة في مصر القديمة " ، ترجمة: ماهر جويجاتي ، مراجعة: زكية طبوزادة ، دار الفكر للدراسات والنشر ، ط2 ، القاهرة 2001م ، ص157.

طيبة" عاصمة مصر خلال الإمبراطورية الحديثة ، ذاع صيتها في جميع البلدان المجاورة كمركز مهم للعلوم والثقافة وذلك بسبب وجود واحد من أكبر وأهم بيوت الحياة بها والذي كان يعد بمثابة جامعة أو أكاديمية.[1]

3-الالتحاق ببيوت الحياة " بر-عنخ / per-ankh":

كان على التلاميذ الراغبين في الالتحاق بالمؤسسات التعليمية أي "بيوت الحياة / **بر-عنخ per-ankh**" ،

أن يتحلوا بالشروط والصفات التالية والتي من أهمها:

أ-أن يكونوا قليلي الكلام والمُتحلين بالشجاعة والصبر.

ب- الحصول على تعليم ديني أولي في أي معبد خشية اختلاطهم مع أشخاص سيئِ التربية والأخلاق.

ج-التفوق في مراحل التعليم السابقة.

د-أن يكون من عائلة ميسورة.

هـ-أن تكون لديه معلومات جيدة في الدين ، والسحر ، والمعارف العامة.

يُستدل من تلك الشروط أنَّ التعليم الجيد والإلمام بالخبرات والتجارب كانت أموراً ضروريةً لتمكين الطالب من استيعاب دروس الطب والصيدلة. وأما القدرة المادية فكانت هي الأخرى ضرورة حتى يتمكن الطالب من الإنفاق على دراسته ، وشراء الوسائل التعليمية من أجهزة وأدوات ، ومواد وأوراق بردي[2]. وعلى الجانب الآخر كانت هناك دقة في اختيار المُدرسين ، حيث عثر على بعض الوثائق التي تشير إلى إعداد دورات تدريبية للقائمين على أمر التدريس. وفي حالة اقتراف أحد الطلبة عملاً مُشيناً والذي يمكن أن يسبب ويؤثر على انضمامه إلى هذه المؤسسة التعليمية العالية ، فإنَّهُ يلقى عقاباً صارماً قد يكون السجن أو الإعدام. و هذه تُمثل عقوبة رادعة في أذهان جميع الطلبة الراغبين في استكمال تعليمهم في تلك المدارس ، وذلك ليحافظوا على نقاوتهم و على السلوك القويم والأخلاق العالية ، وذلك يرجع إلى الاعتقاد العام بين الجميع بأنَّ الأطباء والصيادلة هم رسل أمينة من الإله السماوي للعمل على حفظ صحة وحياة المرضى.[3]

4-مراحل الدراسة في بيوت الحياة " بر-عنخ / per-ankh":

كان يتم تدريس الطب كما أشرنا سابقاً " في بيت الحياة " بر-عنخ" ، غالباً ، وهو بمثابة الأكاديمية أو مدرسة العلوم الملحقة بالمعبد.[4] وكانت الدراسة والتعليم في هذه المؤسسات التعليمية تمتد لعدة سنوات ، وكان على الطلبة أن يحصلوا على تعليم أوليٍّ وذلك عن المبادئ الأساسية للعلوم ، ثم يختار أساتذتهم أكثر الطلبة ذكاءً لكي يسمحوا لهم بمتابعة دراستهم العليا ، وهذا النظام كان يتكرر في كل مرحلة من مراحل التعليم. وفي نهاية كل مرحلة من التعليم العالي كان الطلبة يجتازون اختباراتهم بنجاح. وعندها يعمدُ المسؤولونَ عن هذه المعاهد إلى الاحتفال بهذه المناسبة ، وذلك بإقامة حفل تخريج لهذه الدفعة في أكثر الأماكن قداسة في المعبد ، حيث يحضرهُ الأساتذة وكبار المسؤولين في الدولة

---

(1) الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني " ، ج1 ، ص 161.

(2) نور الدين ، عبد الحليم : " آثار وحضارة مصر القديمة " ، ج2 ، ص325.

(3) الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني " ، ج1 ، ص 156.

(4) بليغ ، راندا ، " ارتباط الطب في مصر القديمة بما يعرف بالطب البديل أو التكميلي " ، دراسات في آثار الوطن العربي (7 ، جامعة المنصورة ، 2005م ، ص80.

والخريجون الذين يرتدون ملابس خاصة بهذه المناسبة ، ثم يُقسمون قسماً مُقدساً يتضمن ما يجب عليهم عمله نحو المرضى من مساعدتهم بكل ما في وسعهم من علم وأن يعالجوا المرضى الفقراء بلا مقابل وأن يحسنوا معاملة الجميع وعدم إفشاء أسرار المرضى وكذلك القسم بالآلهة المُقدسة بالعمل على كتمان كل ما تعلموهُ من علوم حتى لا يتداول بين أيدي العامة فيسيئوا استخدامها وهذا القسم كان يسمى قسم " تحوت".[1] وهذا القسم عملَ على نقلهِ حرفياً إلى الإغريق الطلبة الذين أتوا من جميع البلدان الإغريقية وجزرها وخاصةً الطبيب " أبقراط" الذي تعلم في جامعة معبد " هليوبوليس" ونقل هذا القسم إلى بلاده ، حيث عرف باسم قسم "أبقراط". والذي عمل جميع الخريجين من الأطباء والصيادلة الإغريق على ترديده قبل مُمارستهم لمهنتهم وانتشر هذا القسم في جميع دول العالم. ويعمل به حتى الآن بالرغم من أصله المصري القديم ، والذي وجد مكتوباً في بردية " هيرست" (نحو سنة 1500 ق.م).وكان خريجو هذه المدارس الطبية والصيدلية يُرغمونَ على قضاء مدة معينة بعد تخرجهم للعمل مجاناً في هذه المعابد ومستشفياتها كوفاء لما فعلته معهم من تعليم وتثقيف ثم يسمح لهم بمزاولة المهنة بكل حرية.[2]

رابعاً: أطباء مصر القديمة:

1-تعريف مصطلح " سونو / Swnw":

يرد المصطلح" سونو/ Swnw" في اللغة المصرية القديمة بمعنى " الطبيب". وكثيراً ما تناولت البرديات الطبية مصطلح " سونو/ Swnw" ، مثل (بردية إيبرس ا ، 188/ شيستر بيتي ، الفصل الرابع – 8 / ليدن ا ، 371 / برلين 163 a). وفيما يلي أحد الأمثلة التي تأتي على ذكر الطبيب " **ها أنا ذا من سيحمي المريض من أعدائه. سيكون " تحوت / Thot " هو مرشده ، فهو من ينطق الكلمات ويؤلف الوصفات الطبية حيث يمنح القدرة للسحرة وهم من يعلمون بواطن الأشياء كما يمنحها للأطباء ، فهم أتباعه حتى يُبْرئوا المرضى من أسقامهم ، فهم من أراد لهم الله الحياة" (إيبرس ا).**[3]

وطبقاً لنصوص مصرية قديمة ، فإنَّ من يحمل هذا اللقب ويشغل هذه الوظيفة كان يجب أن يكون مُؤهَّلاً وموهوباً إلى حدٍ كبير. وكان بوسع الطبيب أن يحمل ألقاباً أخرى تمثل أعمالاً أخرى يمارسها إلى جانب الطب ، مثل " الكهانة"[4]. والواضح أنَّ كلمة (swnw) كانت تُشير إلى (الطبيب بوجه عام) ، سواء أكان مُمارساً ، أم جراحاً ، أم طبيب أسنان ، أم بيطريًا ، أم صيدلياً ، إلخ[5]. وكان الطبيب يعتبر في المراحل الأولى من عمله طبيباً ممارساً ، وبعد سنوات من الخبرة يبدأ مرحلة التخصص. ولعلَّ أقدم مثال لطبيب في مصر القديمة هو " حسي رع" (من الأسرة الثالثة) ، وكان طبيب أسنان ، عثر على مقبرته في شمال " سقارة".[6]

---

[1] غليونجي ، بول : " طب وسحر ، ص40 ، 41.

[2] الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني " ، ج1 ، ص 157.

[3] داليو ، كريستيانو: " الطب عند الفراعنة" ، ترجمة: ابتسام محمد عبد المجيد ، مراجعة: د. نبيل عبيد ، و د. علي رضوان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، القاهرة ، 2013 ، ص 62 ، 63.

[4] نور الدين ، عبد الحليم : " آثار وحضارة مصر القديمة " ، ج2 ، ص325.

[5] غليونجي ، بول: " الطب عند قدماء المصريين ، ص 529 ، 530.

[6] نور الدين ، عبد الحليم : " " آثار وحضارة مصر القديمة " ، ج2 ، ص325.

ولم تقتصر مهنة الطبيب عند قدماء المصريين على الرجال فقط ، بل رصدت كتب المُستشرقين أسماء طبيبات ولقبهن ، ومنها ما أورده المستشرق " داليو" فيقول : " ومنها لقب مديرة الطبيبات " imt–r3 swnwwt / إمت–رع–سونووت"[1] واللقب يشير إلى السيدة " بسشت" التي عاشت في أواخر الأسرة الرابعة ودفنت في جبانة الجيزة والتي تشير بلقبها إلى وظيفة رفيعة كانت قد منحت لها لعلمها وخبرتها. وبالفعل لدينا أيضاً لقب

" swnwt / سونووت" والذي يعني بإضافة تاء التأنيث " طبيبة".[2]

2–درجات / ألقاب الأطباء:

كانت الدرجات الطبية معروفة في مصر القديمة ، والتخصص هو سبيل الطبيب لنيل درجاته. حيث تم تقسيم الأطباء إلى مراتب ومناصب مختلفة (فالأمر يتعلق هنا بموظفي حكومة). بالإضافة إلى " سونو" أي الطبيب ، العام لدينا العديد من النماذج الأخرى ، فقد كانت هناك أربع درجات للأطباء هي :

أ–" إيمي – ر–سونو " (أي ناظر الأطباء)

ب–"كبير الأطباء/ " ور سونو" (أي رئيس الأطباء ، الطبيب الأول ، الطبيب القائد).

ج–"مفتش الأطباء/ " سحدي سونو " أي (مفتش الأطباء).

د–"رئيس الأطباء/ " خرب سونو" (أي مراقب الأطباء).

وكان البعض الآخر من الأطباء يدعى " بورا" وهم كانوا ينجزون عملهم كأطباء للقرية التي تتصل بالمقابر.

كما كانت هناك مجموعة أخرى من الأطباء تحمل ألقاباً مميزةً و ترتبط بالبلاط الملكي ، بدءاً من طبيب البلاط " سونو ال aa" وصولاً إلى طبيب الملك " سونو n نيسو" وطبيب الملكة " أور سونو n" الخاص ب" حيمت سونو" ، رئيس أطباء بيت الملكة. بالإضافة إلى العديد من الألقاب الأخرى مثل هذا اللقب الذي يثير الفضول " ناظر ضفتِّيْ مركب أطباء البلاط".[3] كما ورد ذكر (الطبيب الكبير) بين أطباء القصر. بالإضافة إلى ارتباط بعض الألقاب الأخرى بالتقسيمات الجغرافية ، فقد ورد أنَّ هنالك وظيفة هي (الرئيس الأعلى لأطباء الوجه البحري والقبلي). وهذا المنصب الأخير تواجد على الآثار المصرية منذ عهد الأهرامات إلى الأسرة الثلاثين أي على مدى التاريخ المصري القديم. وقد عاصر من المحتمل كلاً من الأسرتيَّن الحاكمتيَّن لمصر (الأسرة السادسة والعشرين والأسرة السابعة والعشرين) ، طبيب مصري وهو " أوجا حور رس نيت" ، وهو صاحب التمثال المحفوظ في متحف الفاتيكان ، والذي نقش على قاعدته علاقته بكل من الملكيَّن(قمبيز وداريوش) ودوره في إعادة الرونق لقلعة سايس الطبية.[4]

3–أصناف الأطباء في مصر القديمة:

كان المُطببون يتكونون من ثلاث فئات هي :

أ–الأطباء الكهنة.

ب–الأطباء العقلانيون / المجربون.

---

[1] داليو ، كريستيانو: " الطب عند الفراعنة" ، ص 69.

[2] موسى محمد شرف ، مصطفى : " الطب بين الإيرانيين القدماء وقدماء المصريين" ، ص59.

[3] داليو ، كريستيانو: " الطب عند الفراعنة" ، ص 63 ، 64.

[4] الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني " ، ج1 ، ص223.

ج–المساعدون.

حيث سنقوم بشرح كل صنف على حدا بشيء من التفصيل

أ– الأطباء الكهنة:

كان الكهنة في أول أمرهم وسطاء بين المريض والإله الشافي ، يعرفون طريق التوصل إليه ، والسبيل إلى اجتذاب رضاه ، ولكنهم لم يكونوا يمارسون أي نوع من الطب. غير أنهم كانوا على جانب كبير من الدهاء والعلم ، كما كانوا يعرفون النباتات ، ويستعملونها لتعزيز تعاويذهم ، وكانوا يُلمونَ بقدر كبير من علم الكيمياء ، وقد رد البعض كلمة " كيمياء" إلى " كمت" وهو اسم مصر القديم. غير أنه في الحقيقة لا يمكن معرفة علمهم ، ذلك لأن عقائدهم الحقيقية إنما كانت سراً من الأسرار التي لا تُفشى لأحد ، إلا لمن كرسوا أنفسهم للخدمة الدينية. وهي تختلف كثيراً عما يدلون به لغير هؤلاء. هذا ويبدو أن الطب في أول أمره كان مُتصلاً بالدين ومتمشِّياً مع السِحر ، وكان الطبيب في الغالب يباشر أعماله الطبية بجانب بعض الأدعية والرقى لحماية المريض من الأرواح الخبيثة. و التي يمكن أن تُعد نوعاً من أنواع الإيحاء بالشفاء. وقد أتت هذه الفكرة من الأساطير الدينية ، وهكذا أصبح الإله الذي يتغلب على الثعبان خير مصل له ، والإله الذي يتغلب على لدغ العقرب يصبح خير دواء له.[1] وفي هذا المثال الذي بين أيدنا نجد الكاهن الطبيب يناجي ويتوسل الصحة والعافية آملاً أن يحقق له معبودهُ الصحة والعافية لمريضهِ إذ يقول له: " **ولسوف تحميني وتجعلني سالماً ، ولسوف تحرسني وتجعلني صحيحاً ، ولسوف تحميني من كل روح شريرة لأنثى ... ومن (شر) كل ميت.. ومن كل وباء**".[2]

ب– الأطباء العقلانيون / المجربون:

كان الطبيب العلماني يسمى " سونو" والرمز الهيروغليفي لهذه الكلمة مكون من "قنينة ومشرط" ، ولم يميز بين الطبيب والبيطري ، وكان عدد الأطباء كما رآهم " هيرودوت" في القرن الخامس قبل الميلاد – كبيراً جداً ، وكانوا على حد قوله: " **أمهر الناس**" حتى أنهُ ذهب إلى أنهم من سلالة " **بيون**" طبيب الآلهة.

وتنقسم هذه الفئة من الأطباء بدورهم إلى مجموعاتٍ متعددةٍ ، من حيث أماكن مزاولتهم لمهنتهم ، وأيضاً من حيث تخصُصاتهم.

فمن حيث العمل نجد أنَّ هناك أطباء موظفون هم :

1–أطباء القصر:

ومن هؤلاء من كان مُلحقاً بالقصر ، أو خاصاً بالملك أو بالزوجة الملكية أو بالحُكام المحليين والنبلاء ، ويظهر الواحد منهم في قبرهِ حاملاً القرابين مثل الطبيب المدعو " عنخ" (من الأسرة السادسة) ، وقد صور وهو يحمل الطيور بيده ، أو يؤدي عملاً رسمياً. كما قام أطباء القصر بدورٍ هامٍ في حياة البلاط الملكي ، فنجد مثلاً الطبيب المدعو " **بنتو**"[3] والذي يحمل إلى جانب ألقابه الكهنوتية والطبية الدالة على مركزه ، لقب " **الذي يدخل القصر ويخرج منه**" ، أي الذي" **يُسمح له بمقابلة الملك في أي وقت**" ، ولعلَّ مِمَّا يدلُ على مكانتهِ ما وجد بالنص بعد كتابة اسمه ، من مخصص ممسكاً بيدهِ

---

[1] فياض ، محمد ، و أديب ، سمير : " الجمال والتجميل في مصر القديمة " ، ص134.

[2] داليو ، كريستيانو: " الطب عند الفراعنة" ، ص 11.

[3] " بنتو" : وهو طبيب عاش إبان الأسرة الثامنة عشرة خلال عهد الملك " أخناتون " (نحو سنة 1370 ق.م وعمل بوصفه كبيراً للأطباء.

سوطاً كدليل على القوة والجاه ، وإلى جانب الطبيب" **بنتو** " هناك الطبيب المدعو "**إني عنخ سخمت**"[1] من الأسرة المصرية الحاكمة الخامسة ، وقد أهداه الملك المصري " ساحورع" باباً وهمياً من الحجر الجيري ، وقد ازدان بالألوان الجميلة والأحجار الكريمة ، بل وأمر الملك بتدوين هذا الاهداء على قبره مشفوعاً بأطيب عبارات المديح.[2]

2-أطباء الدولة:

وكان معظمهم مُلحقين بمصالح الحكومة المصرية المختلفة ، يتقاضون مرتباتهم منها ، ويبدو أنَّهم إلى جانب أعمالهم الرسمية تلك ، كانوا يزاولونَ مهنتهم أيضاً على المرضى من عامة النَّاس ، حيث يتقاضونَ منهم أتعاباً ، ويحظَونَ منهم بهدايا ثمينةٍ.

3-أطباء ملحقون بالمعابد:

وكان هؤلاء يتلَّقونَ رواتبهم لقاء خدماتهم وأتعابهم من ميزانية تلك المعابد.

وأمَّا من حيث التخصُص نجد بأنَّ هناك العديد من الاختصاصات التي ضمتَّها هذه الفئة من الأطباء فقد بلغت صناعة الطب في مصر القديمة مبلغاً عظيماً ، تخطَّت عندهُ الأصول إلى الفروع ، وبات أصحابها يتخصصونَ في فروع الطب المختلفة منذ أقدم العصور. ومثال على ذلك الطبيب المدعو " **حس رع**" وهو أقدم طبيب عرف للتاريخ- ويرجع للأسرة المصرية الحاكمة الثالثة ، ومقبرتهُ بسقَّارة ، وكان يُطلق عليه لقب:

" **كبير أطباء أسنان القصر**" والذي عاصر زمن الملك " **زوسر**" (أي منذ حوالي خمسة ألاف سنة). كما وصلت إلينا العديد من البرديات التي تدل على تعمق المصريين في شؤون الطب ، وتنوع دراساته ، ومن ثم فهناك الطب البيطري ، وهناك الطب الباطني ، وطب أمراض النساء ، وطب الجراحة ، وطب الأسنان ، وطب العيون. وقد كشف العالم " هرمان يونكر" عن مقبرة رئيس الأطباء المدعو " **إيري**"[3] والذي يُشار إلى تخصصهِ في أمراض العيون.[4] كما تشير برديتا " إيبرس" و " إدوين سميث" إلى مراحل تخصص ، وتميز تمييزاً واضحاً بين الطبيب الجراح والطبيب المعالج بالسحر والرقى ، والطبيب الذي يُعطي الدواء النباتي ، ويشير " **هيرودوت**" إلى أنَّ علم الطب والتداوي في مصر كان منقسماً إلى أقسام ، كل طبيب يختص بقسم منها ، فهناك طبيب العيون ، وطبيب الرأس ، وطبيب الأمعاء ، وطبيب الاضطرابات الداخلية ، هذا إلى جانب أطباء للتحنيط وأطباء الجراحة ، وأطباء الأعشاب ، وهم أطباء العقاقير الذين اختصوا بالعقاقير وتلاوة الأدعية[5]. وكان الأطباء باختلاف تخصصاتهم ، يمارسونَ الطب وفقاً لقواعد وأسس متبعة منذ

---

(1) " إني عنخ سخمت" : وهو طبيب عاش خلال الأسرة الخامسة وعمل حينها كطبيب أسنان للملك المصري" ساحو رع". وأمَّا الإلهة " سخمت": فعرفت بأنها " سيدة الوباء / **nbt idw**" ، واعتبرت حينها من المعبودات المسببة للأمراض في عصر الدولة الحديثة ، وهذا يرجع لدورها في قصة هلاك البشرية ، فربط المصريون القدماء بينها وبين الأمراض التي تنتشر في وقت الفيضان وتهلك الكثير من البشر.

(2) فياض ، محمد ، و أديب ، سمير : " الجمال والتجميل في مصر القديمة " ، ص135.

(3) " إيري / إر-إن إختي الثاني" : وهو طبيب عاش حوالي (عام 2000 ق.م وعمل في البلاط الملكي كمستشار للأطباء في القصور الملكية وهو إخصائي في أمراض العيون. للمزيد ينظر : حسن ، سليم: " مصر القديمة في مدنية مصر وثقافتها " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2000م ، ص 365 ، 366.

(4) كمال ، حسن : " الطب المصري القديم "، ص 39.

(5) فياض ، محمد ، و أديب ، سمير : " الجمال والتجميل في مصر القديمة " ، ص136.

القدم ويتعين على الطبيب الالتزام والتمسك بتلك الأسس ، وفي حالة عدم تمكن أو مقدرة الطبيب من إنقاذ المريض ، فإنه يستطيع تبرئة نفسه من أي لوم يوجه له ، على عكس ذلك إذا لم يطبق الوصفة الطبية المكتوبة ، فإنه سيتهم ويحكم عليه بالموت ، وإن قليلاً من الأطباء من يسمح لهم بالاجتهاد والإتيان بوصفة طبية جديدة. بالإضافة إلى هؤلاء الأطباء المُختصينَ ، هنالك الأطباء البيطريون ، حيث ظهرت في كثير من النقوش صور للماشية ، وقف أمامها المُشرف عليها ، وقد سُميَّ أحياناً بالطبيب ، وأحياناً أخرى بالكاهن الطبيب ، الأمر الذي يوحي بأنَّ هؤلاء الأطباء الكهنة إنما كانوا مُكلفَّين بفحص طهارة الذبائح ، كما كانوا مكلَّفين بضمان مطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية ، كذلك هناك بعض البيطريين من غير الكهنة ، وكانوا يمارسونَ مهنتهم حسب علم موجود يشابه ما هو مكتوب في الجزء البيطري من بردية كاهون الطبية.[1]

ج- المساعدون:

وتشمل هذه الفئة الأشخاص المُساعدين للأطباء في عملهم ، أمثال المُمرضين ، والأخصائيين في الأربطة والتدليك وكان يطلق عليهم اسم " **أوت/ ut**" ، وهي تعني" **الذي يضمد**". وكان البعض منهم مُخصص للمرضى ، والآخر للأموات (التحنيط).ووفقاً لبردية " إدوين سميث" (الحالة رقم 9) : " إن الذي يضمد هو من يكون تحت إمرة "المُحنط". وأمَّا العالم" برستيد" ، فيرى أنَّ الذي يضمد " **أوت/ ut**" هو من يُعطي الضمادات للطبيب.[2] فوجود هؤلاء المُساعدين أو المعاونين للأطباء أمر هام في العلاج[3]. لذا كان موجوداً بمصر القديمة آنذاك أكفأ المُضمدين المهرة في ميدان التحنيط ، فمثلاً طريقة لف المومياوات باللفائف إنَّما تدلُ بلا شَّك على مهارة فائقة في التضميد ، وبديهي أنهُ ليس هناك ما يمنع من وجود أمثال هؤلاء ممن ساعدوا الجراحين في مهمتهم ، ولا بدَّ أنهُ كان في كل مجموعةٍ كبيرةٍ من العمال أشخاص لهم دراية بالإسعافات الأولية والتمريض.[4]

4-أجور الأطباء:

لم تكن في مصر القديمة عملات مالية أو نقود كما هي الحال عندنا. فالتعامل المالي كان بطريق المبادلة أو نظير خدمة. فما الطريقة التي كان يُكافأ بها الأطباء لقاء أتعابهم وخدماتهم الطبية في تلك العصور إذن؟ وهل هناك معلوماتٍ عن دخل الأطباء حينها؟ وللإجابة على هذه التساؤلات نجد بأنَّ أطباء القصر كانت مُكافآتهم تُصرف لهم من خزينة القصر. وكانوا يتلقونَ الهدايا كلاً بحسب درجته ورضى الملك عنه. شأنهم في ذلك شأن كل موظفي القصر. ولا يستبعد أن تكون حالة أطباء قصور الأمراء شبيهة بذلك أيضاً.[5]

5-مكانة الأطباء في المجتمع المصري:

تمتع الأطباء بمكانة طيبةٍ و مرموقةٍ في المجتمع المصري القديم ، وكان يُنظر إليهم نظرة احترام وتقدير ، وقد مثلوا جزء من النخبة ، وهم في نفس رتبة القادة العسكريين والكهنة ، ومسؤولي المناجم والزراعة ومخازن الحبوب العامة ، وليس

---

(1) داليو ، كريستيانو: " الطب عند الفراعنة" ، ص 76.

(2) داليو ، كريستيانو: " الطب عند الفراعنة" ، ص 76.

(3) كمال ، حسن : " الطب المصري القديم "، ص 47.

(4) فياض ، محمد ، و أديب ، سمير : " الجمال والتجميل في مصر القديمة " ، ص136.

(5) Carole ، Reeves ، " Egyptian Medicine " ، Published by SHIRE Publications Ltd ، Great Britain ، 2001، p.25.

أدل على ذلك من أن ينسب التاريخ إلى ملوكهم هذه المهنة والبراعة فيها ، ويستخرجون أسرارها من الآلهة. فقد لُقِبَ " الملك " زوسر" باسم " سا" أي الشافي الإلهي ، كما ذكر المؤرخ المصري القديم " مانيتون" أنَّ الملك " أثوثيس" ابن الملك " مينا" مؤسس الأسرة الأولى ، ألفَّ كتاباً في التشريح ، وأنَّ الملك " أوزينايوس" (نحو سنة 3000ق.م) حقق تقدماً كبيراً في علم التشريح ، كما كان " نفر إير كارع" من الأسرة الخامسة على معرفة بالطب.[1] وقد زاول الأطباء مهنتهم في سرية تامة ، فاتبعوا طريقة التلقين الشفوي من الأب إلى الابن ، أو من الأستاذ إلى تلميذه بعد درجة معينة من التعليم ، كما يستدل أيضاً من عدة روايات ونصوص على أن تعليم الطب كان يعد سراً لا يُفشى إلا لمن أقسموا اليمين ، وقد حفظ التاريخ لنا للأجيال القادمة أسماءً عديدةً من الأطباء المصريين وذلك خلال مختلف عصور تاريخ مصر القديمة ، بالإضافة إلى عشرات من الأطباء المُتخصصين كذلك في العلوم الصيدلية. فقد كان الطبيب " أمحوتب" واحداً من أشهر الأطباء طوال عصور مصر القديمة ، وكلمة (أمحوتب) معناها بالعربية:

"**الآتي بسلام**" وهو وزير الملك " زوسر" " 2780ق.م" وكان سياسياً ماهراً وكاهناً مرموقاً ومهندساً بارعاً وطبيباً كبيراً– كل هذه الصفات تجمعت فيه على مدى التاريخ[2]. لكن لوحظ أن صفة الطب لم تضف عليه إلا بعد وفاته بزمن طويل لا يمكن تحديده بالضبط. حيث كانت هذه الشخصية محبوبة مدى تاريخ مصر القديمة منذ أقدم العصور. كما لعب دوراً مهماً وبارزاً في الحياة المصرية القديمة ، وذلك نظراً للمكانة العالية التي حصل عليها ككبير كهنة مصر القديمة. وبعد وفاته عمد أتباعهُ ومُساعدوه إلى تأليهه كإله للطب ، بوصفهِ شافياً لجميع الأمراض ومُخففاً لآلام البشر المرضى[3].

6–شُهرة الأطباء خارج مصر القديمة:

حظيَ الأطباء المصريون بشهرةٍ واسعةٍ في الخارج ، فقد ذاع صيت وشُهرة أطباء مصر القديمة وذلك منذ عهد الدولة المصرية الحديثة فصاعداً ، حيث ورد في النصوص والرسائل الرسمية المتبادلة بين حُكام مصر والدول والممالك المجاورة لها آنذاك أسماءً عديدةً لأطباء مصريين عملوا حينها كمُستشارين أو في منصب كبار الأطباء في العديد من دول الشرق الأدنى القديم آنذاك ، ولا سيَّما في الأناضول وسوريا وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين[4]. ففي عهد الملك المصري " أمنحتب الثاني " تذكر الوثائق قدوم لأحد الأمراء في سوريا تصحبهُ زوجته ويتبعهُ خدمٌ كثيرون ، حاملينَ معهم الهدايا ليزوروا الطبيب المدعو " **نب أمون**" طبيب الملك في طيبة. كما كانت مصر ترسل الأطباء في بعثاتها إلى بلاد " البونت وكريت " وغيرها ، وقد كتب المؤرخ اليوناني " ديودوروس الصقلي / Diodorus Siculus" ما يلي :

" في زمن الحرب ، وفي الرحلات ، في أي مكان داخل مصر ، يستمد الأطباء دعمهم من الأموال العامة ويقومون بالعلاج وفقاً لقانون مكتوب منذ القدم من قبل العديد من الأطباء المشهورين".[5]

كذلك هناك مثال آخر على السُمعة والشُهرة التي تمتعَ بها أطباء مصر ، ففي واحدة من المراسلات الكثيرة بين الملك المصري " رمسيس الثاني" وبين بلاط الحيثيين ، فقد أرسل حينها الملك المصري أرسل إلى " حاتوشيلي" ، وهو ملك

---

(1) فياض ، محمد ، و أديب ، سمير : " الجمال والتجميل في مصر القديمة " ، ص133.

(2) موسى محمد شرف ، مصطفى : " الطب بين الإيرانيين القدماء وقدماء المصريين ، ص58.

(3) داليو ، كريستيانو: " الطب عند الفراعنة" ، ص 58 ، 59.

(4) Carole ، Reeves ، " Egyptian Medicine "، p.31.

(5) بومريش ، ليلى ، " الطب في مصر القديمة ، بردية إدوين سميث أنموذجاً" ، ص 10 ، 11.

الحثيين ، طبيباً بارعاً يدعى " باريماكو" لعلاج أحد أتباعهِ المدعو " كورونتا" : حيث يقول يتحدث الملك " رمسيس الثاني " قائلاً:

" سوف يُعدُّ باريماكو في الحال الأعشاب اللازمة لكورونتا .... إنها مجموعة منتقاة من الأعشاب المعالجة...".[1]

الخاتمة والنتائج:

في ختام هذا البحث الذي حاولت من خلاله أن أُقدمَ صورةً مُشرقةً لأحد الجوانب المعرفية الحضارية ، وذلك فيما يتعلق بمهنة الطب ومؤسساتها التعليمية في حضارة مصر القديمة ، وذلك من خلال التعرف على نشأت هذه المهنة ومزاولتها ، والمدارس التي تخرج منها أشهر الأطباء آنذاك. والمكانة الاجتماعية التي تمتعت بها هذه المهنة بين مثيلاتها من المهن ، والاهتمام الكبير الذي أولتهُ الطبقة الحاكمة لها ، لما لها من دورٍ وتأثيرٍ فعال في معالجة المرضى و الحفاظ على حياتهم. وقد خلص هذا البحث إلى ما يلي:

– كانت مهنة الطب في مصر القديمة تحظى بأعظم تقدير باعتبارها علماً سماوياً يهدف أساساً إلى الحفاظ على الحياة. كما كانت تعد من المهن البشرية النادرة والتي كانت الآلهة تزاولها أحياناً.

– لم يكن السحر وطقوسه وطريقة العلاج بها من الأساسيات المهمة في العلاج الطبي أيام المصريين القدماء ، بل على العكس فقد علموا بدقة فائدتها النفسية والسيكولوجية التأثيرية بنفس المبادئ المتعارف عليها حالياً والمُتبعة في علاج الأمراض العصبية ذات المنشأ الخاص بالاضطرابات في العواطف النفسية ، وهذا ما يبرهن على أنَّ علاج المرضى كان يعتمدُ على طريقة تشخيص الأمراض ، ثم وصف العلاج الأمثل لها بالرغم من قوة السحرة في ذلك الوقت ، والذين كانت لهم شعبية قوية وكبيرة والذين كانوا يُنافسون الأطباء في عملهم وكذلك الصيادلة في تركيباتهم العلاجية.

– كما يتضح مِمَّا سبق أنَّ السحر والطب قد امتزجا وارتبطا معاً برباط وثيق في مصر القديمة (حيث كانت ترانيم السحر تُستخدم كعلاج مساعد للعلاج التقليدي). كذلك كان الحال وإن كان على نطاق أضيق ، في الحضارات الأخرى المعاصرة في الشرق الأدنى. ومن وجهة نظرنا نلاحظ أنَّهُ من الصعب توثيق علاقة تجمع بين السحر والدين والطب.

– اعتمد الطب في مصر القديمة على المنهج التجريبي وقد بدأ في المنزل والتلقين من الآباء للأبناء ، ثم أصبحت له مدارس أُقيمت إلى جوار المعابد أو داخلها ، مما كانت له بالغ الأثر في ظهور الكاهن الطبيب.

– لقد تخرج من المدارس الطبية رجال أخصائيون في مختلف علوم الطب. فكان منهم الأطباء الجراحون ، وأطباء الجيش ، والأطباء البيطريون ، وأطباء الأسنان ، والأطباء الروحيون ، والأطباء المحنطون ، والأطباء العشابون وهم الصيادلة وهذا يثبت أن التخصص كان قائماً أيام حضارة مصر القديمة.

– من خلال الوثائق الطبية التي خلَّفها لنا المصري القديم ، يُمكننا أن نتبين أنَّهُ قد أبدى اهتماماً شديداً بمعرفة أسباب المرض ، وتشخيصه ، وعلاجه. ومنذ بداية ظهور الإنسان على سطح الأرض بدت حاجته واضحة للتعامل مع الأمراض التي تصيبه ، والتي تتطلب علاجاً يُخلصهُ منها.

---

[1] داليو ، كريستيانو: " الطب عند الفراعنة" ، ص 60 .

–تعد مصر القديمة هي الأصل والمنشأ الأول للفن الحضاري الطبي وليست اليونان القديمة ، ويجب ألا نعتبر الطبيب الإغريقي (إسكليبيوس) هو الأب الروحي العبقري للطب بل الطبيب المصري القديم المدعو (أمحوتب) الذي يستحق هذا التقدير والتكريم بدلاً منه.

– كان الطبيب يتدرج في إطار وظائف تصاعدية في الإدارات الحكومية المختلفة من طبيب إلى كبير أطباء ثم إلى مفتش أطباء ، ومنهم من كان ملحقاً بالقصر الملكي أو بالزوجة الملكية أو بالحكام المحليين والنبلاء.

– كانت هذه المهنة إنسانيةً خالصةً فلم تكن تعالج الأغنياء فقط بل شملت كذلك كافة أفراد الشعب من العمال والفلاحين والجنود والتجار والموظفين الصغار وغيرهم.

– لقد ذاع صيت وشهرة أطباء مصر القديمة خارج بلادهم إذ لجأ إليهم العديد من ملوك وأمراء الدول والممالك المجاورة لهم مثل (سوريا وبلاد فارس) إلى الاستعانة بأطباء إخصائيين من مصر القديمة ، كما أحاط اليونانيون القدماء أطباء مصر بهالة من التمجيد والاجلال.

–إنَّ التقدم الذي وصل إليه الطب في مصر القديمة ما كان يمكن أن يحدث دون الكثير من العوامل المساعدة ، وعلى رأسها اهتمام الدولة بصحة مواطنيها ، ونظافة البيئة التي يعيش فيها الإنسان المصري ، الأمر الذي حدثتنا عنه بعض النصوص المصرية القديمة ، وذلك ما ساعد على أن يكون المجتمع صحيحاً معافى.

المصادر والمراجع العربية والمعربة وأجنبية

-المصادر والمراجع العربية:

-بليغ ، راندا ، " ارتباط الطب في مصر القديمة بما يعرف بالطب البديل أو التكميلي "، دراسات في آثار الوطن العربي (7) ، جامعة المنصورة ، 2005م.

- بومريش ، ليلى ، " الطب في مصر القديمة ، بردية إدوين سميث أنموذجاً" ، مجلة دراسات تاريخية ، كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، مج (21) ، العدد: (16) ، جامعة الجزائر 2 ، 2013م.

-جبرة ، صابر : " تاريخ العقاقير والعلاج " ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، الاسكندرية ، 2017م.

- حسن ، سليم ، "موسوعة مصر القديمة ج2" ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة 2012م.

- حسن ، سليم: " مصر القديمة في مدنية مصر وثقافتها " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2000م.

- داليو ، كريستيانو: " الطب عند الفراعنة" ، ترجمة: ابتسام محمد عبد المجيد ، مراجعة: د. نبيل عبيد ، و د. علي رضوان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، القاهرة ، 2013.

- الجمال ، سمير يحيى ، " تاريخ الطب والصيدلية في العصر الفرعوني " ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994م.

-عبد العزيز علي حسيب ، آيات ، " الأمراض والأوبئة من خلال بردية تقويم القاهرة بالمتحف المصري الكبير (رقم 86637)" مركز الدراسات البردية والنقوش ، ، مج (36) ، ج1 ، جامعة عين شمس 2019م.

- عبد الفتاح عزام ، ليلى ممدوح: " التعاويذ السحرية ضد الأمراض في عصر الدولة الحديثة" ، رساله دكتوراه ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، جامعة حلوان ، 2001 م.

- غليونجي ، بول : " طب وسحر " ، منشورات دار القلم ، القاهرة ، 1999م.

-غليونجي ، بول: " الطب عند قدماء المصريين " ، تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني) ، مج : (1) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1962م.

- فالبيل ، دومينيك ، الناس والحياة في مصر القديمة " ، ترجمة: ماهر جويجاتي ، مراجعة: زكية طبوزادة ، دار الفكر للدراسات والنشر ، ط2 ، القاهرة 2001م.

-فياض ، محمد ، و أديب ، سمير : " الجمال والتجميل في مصر القديمة " ، منشورات نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،2000م.

-كمال ، حسن : " الطب المصري القديم " ، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط3 ، القاهرة ، 1998م.

-موسى محمد شرف ، مصطفى : " الطب بين الإيرانيين القدماء وقدماء المصريين ، مجلة بحوث كلية الآداب ، مج (32) ، العدد (124) ، جامعة المنوفية ، القاهرة 2021م.

- نور الدين ، عبد الحليم: " آثار وحضارة مصر القديمة " ، ج2 ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 2008 م.

-المصادر والمراجع الأجنبية:

-Bryan ، E. ، P. & Smith ، " Ancint Egyptian Medicine ، The Papyrus Ebers ، London: ، Ares Publishers ، (1930).

- **Bonnet ، H . ، " Reallexikon der Agyptiscen Religonsgeschichte ، (Berlin: Johns Hopkins Press ، 1952.).**

- **Carole ، Reeves ، " Egyptian Medicine " ، Published by SHIRE Publications Ltd Great Britain ، 2001.**

- **Goedicke ، H . ، " The Canaanite illness" ، SAK 11 ، Geburtstag ، 1984.**

- **Wreszinski ، W . ، " Der Ebers Papyrus ، (Leipzig: 1913).**

Medicine and doctors in ancient Egypt

Dr. Ahmad Shababibi [1]

Abstract

This research deals with the profession of medicine and medical schools in the which was and still is one of the most important and ،ancient Egyptian civilization due to its close association ،vital human professions in ancient and modern societies we will be able to identify the most ،with the lives of millions of people. First and also know the medical ،important primary sources of medicine in ancient Egypt educational institutions that contributed to the establishment and development of this profession throughout the historical ages of ancient Egypt. In addition to the and ،prestigious social status and position that doctors enjoyed within their society their ، referring to the types of doctors،people's view of them at that time. Also through what ، and their different methods of treating and healing patients،specialties ،was mentioned in the sources and discovered documents related to the subject. Also knowing the degrees of doctors and the wages they received in exchange for their and finally the reputation and fame they ،efforts in treating and healing their patients gained inside and outside ancient Egypt.

Key words : Medical Schools, Medical Papyrus ، Physician Swnw ، Imhotep **.**

(1)Doctor and researcher in the history of the ancient East, Damascus, Syria.